النبي الأكرم(ص) "كان خلقه القرآن"

حجة الإسلام ڈاکٹر ساجد علی سبحانی *

dr.sajidsubhani@yahoo.com

كلمات مفتاحية: الخلق، النفس، الفضائل، الرذائل، قرآن عملي، الهوية الخلقية، القائد الاسلامي، المبلغ الديني-

تلخيص:

الخلق يتعلق بأعظم جزء الانسان وهو الروح أو النفس. الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الافعال الخلقية بسهولة ويسر، لا بندرة وتكلف- والأخلاق إمّا حسنة تسمى بالفضائل وإمّا قبيحة تسمى بالرذائل، وان كانت كلمة الخلق أو الاخلاق تنصرف إلى الحسنة اذا أطلقت. كفى عظمة للخلق أنه حينما أراد الله تعالى أن يثني النبيّ الكريم(ص) فلم يثن على علمه أو شجاعته أو زهده وغير ذلك من الكمالات الروحية والبدنية، بل أثنى على خلقه فقال: "وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ" بأسلوب التاكيد. وهذا في الحقيقة شهادة من الله تعالى بأن حياة النبي (ص) كلها عبارة عن الاخلاق وكان الرسول الكريم(ص) قرآنا عمليا تجسدت فيه تعاليم القرآن. فهو قدوة و أسوة للمسلم في جميع مجالات الحياة في كل موضوع وزمان. و استطاع النبي الكريم(ص) بمكارم أخلاقه أن يحدث تحوّلا عظيما في المجتمع الانساني- ذاك الوقت- و أخرجه من الضلالة و الظلمة والشرك إلى النور والهدى والتوحيد- يستمر الاهتداء بخلقه العظيم في كل عصر-

تظهر عظمة الخلق بأنه من أسباب رقي فرد وملة ومجتمع- الأمم اذا تلبست بالأخلاق، فبامكانها أن تفتح قلوب الناس والبلاد- واذا ذهبت أخلاقهم فتذهب وتفنى وتندثر كما شهدت بذلك حكومة المسلمين على الأندلس ثم زوالها بزوال أخلاق المسلمين خاصة حكامهم- وتشهد بذلك حال الأمة المسلمة في العصر الحاضر- إن من أسباب صعف واضمحلال الامة المسلمة ضعف الهوية الخلقية- فتحتاج الأمة إلى دراسة الاخلاق المحمدية الحميدة والتخلق بها-

قد ألقى القرآن الكريم الضوء على مكارم أخلاق الرسول الأعظم(ص) وكشف القناع عن نواحيه المتنوعة. وقد جمعت في هذه المقالة المتواضعة ايات متعددة من عشر سور، التي تحدث عن بعض جزئيات أخلاقه الكريمة مثل الصبر والعفو والعبادة وغير ذلك-

*- مدیر و أستاد جامعة الرضا، بارہ کہو، اسلام آباد- أستاد جامعة المصطفى العالمية، اسلام آباد-

تمهید

اوّلا۔ إن الانسان مرکب من جسد مدرك بالبصر، و روح أی نفس مدرکة بالبصیرة. الجسد من الطین والروح من أمرالرب، فالجسد خلق والروح أمر، والخلق یقبل التدریج بخلاف الامر "قال الله: وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (1) و الجانب الروحانیی اعظم قدرا من الجانب الجسدیي، قال الله تعالیٰ: إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ○فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ. (2)

متطلبات الجسدعبارة عن الماء والهواء والغذاء واللباس و المکان و غیر ذلك من الامور المادیة ولکن النفس أو الروح فمتطلباتها امور غیر مادیة من العلم والحکمة والتربیة والعمل الصالح وغیرها.

ثانیا. یعبّرعن الجانب المادي للانسان بـ"الخلق" بفتح الخاء وسکون اللام وأما الجانب الباطنیي الروحانیي فیعبرعنه بـ"الخلق" بضم الخاء وسکون اللام أوضمها ویجمع علی أخلاق. والخلق عبارة عن الطبع والسجیة واصطلاحا فقد عرّف بتعاریف عدیدة:

قال الامام الغزالیي: " . . . فالخلق عبارة عن هیئةفی النفس راسخة، عنها تصدر الافعال بسهولة ویسر من غیرحاجةإلی فکر و رویة، فإن کانت الهیئة بحیث تصدر عنها الافعال الجمیلة المحمودة عقلا وشرعا، سمیت تلك الهئیة خلقا حسنا وان کان الصادر عنها الافعال القبیحة، سمیت الهئیة التی هی المصدر خلقا سیئا. وانما قلنا إنهاهئیة راسخة؟ لأن من یصدر منه بذل المال علی الندور لحاجة عارضة، لایقال خلقه السخاء مالم یثبت ذلك فی نفسه ثبوت رسوخ. وإنما اشترطنامنه الافعال بسهولة من غیر رویة؟ لأن من تکلف بذل المال أو السکوت عند الغضب بجهد و رویة، لایقال خلقه السخاء والعلم''''" (3)

وقال العلامة الفیلسوف الطباطبائی عن تعریف الخلق:

"---الخلق هوا الملكة النفسانية التيى تصدر عنهاالافعال بسهولة وينقسم إلى الفضيلة وهيى الممدوحة كالعفة والنشجاعة، و الرذيلة وهيى المذمومة كالشرة (الحرص) والجبن، لكنه إذا اطلق فهم منه الخلق الحسن'''". (4)

ثالثا. الاخلاق من أهداف الاديان السماوية، وأمادين الاسلام، فيتضمن الأخلاق مضافا إلى العقائد والعبادات والمعاملات. اهتم الإسلام قرانا وسنة بالجانب الخلقيى للانسان اهتماما بالغاحتى جعل إصلاحه من أهداف بعثة النبى الأكرم. وقد كرّر هذا المضمون أربع مرات فيى سور البقرة وآل عمران والجمعة، فقال. عزوجل.

هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ(5)

"---فتزكيته لهم تنميته لهم نماء صالحا بتعويدهم الأخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة، فيكملون بذلك فيى انسانيتهم، فيستقيم حالهم فى دنيا هم و آخرتهم، يعيشون سعداء ويموتون سعداء. . .". (6)

والنبى الاكرم نفسه قدصرّح بأن إتمام الاخلاق غاية بعثته ورسالته حيث قال " إنمابعثت لأتمم مكارم الاخلاق". (7) وماروا ه الامام أحمد فهوقول النبى(ص): إنمابعثت لأتمم صالح الأخلاق. (8) و أما على ماروى المحدث الكبير الشيخ الطوسيى، فمن الامام على بن ابى طالب(ع) قال سمعت النبى(ص) يقول: "بعثت بمكارم الأخلاق ومحاسنها" (9)

قد عقد الشيخ الكلينيى بابا مستقلا معنونا بـ"باب حسن الخلق" وأورد فيه ثمانية عشر حديثا. منها ما قال فيه رسول الله(ص): مايوضع فيى ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق. (10)

نظر إلى أهمية الاخلاق عندالله عز وجل فحينما أراد أن يثنيى نبيه الكريم، فلم يثن على علمه، أوشجاعته، أو زهده و غير ذلك من الكمالات الروحية والجسمية، بل أثنى على خلقه مؤكدا بتاكيدين: إن واللام المزحلقة وقال:وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ (11)

والمعنى أنك- ايها النبى الكريم- مستقرعلى اخلاق عظمية ولايوجد فيى تصرفاتك السلوكية شيىء غيرالخلق. فهذا فى الحقيقة شهادة من الله سبحانه بأن حياة النبى الاكرم كلها عبارة عن الاخلاق فما أمر به فى القرآن، امتثله وكل مانهاه عنه انزجرعنه، فكان (ص) قرانا عمليا تجسمت فيه تعاليم القرآن. من ثم أفصحه الله تعالىٰ عن كونه أسوة وقدوة للناس إلى يوم القيامة فى جميع مجالات الحياة: تعليما،وعبادة، وصلحا اوحربا، وانفرادأو اجتماعا، وقائدا أوعضوا لعائلة. فقال عزوجل:

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا (12)

والمستفادمن الاية كونه أسوة وقدوة على الاطلاق فيى كل موضوع وفى كل زمان. ومن العجيب أنه تجلى فى شخصية النبى الأكرم القرآن الكريم، لم يفترق فى جميع تصرفاته السلوكية عن الوحيى الالهيى قطّ. وبهذا السبب عندما سئلت ام المومنين عائشة . رضى الله تعالىٰ عنها. عن أخلاق النبىؐ فأجابت:فان خلق رسول الله كان القرآن. (13)

رابعا. إن من أسباب رقيى فرد أوملة ومجتمع حسن أخلاقها والقيم الاخلاقية الحاكمة عليها. التاريخ خير شاهد على أن خلود شخصية فرد، وبقاء واستمرار أمة ودولة وتقدم حضارة، كل هذا مرهون بالفضائل الاخلاقية وبالعكس الاضمحلال، والاندثار والفناء والتقهقر كل هذا مسبب عن فقد الفضائل الاخلاقية. فكيف استطاع النبى الاكرم أن يبدل الوضع السيىء، للمجتمع- ذاك الوقت- من الضلالة والشرك والحيوا نية والجهالة إلى الهدى والتوحيد والانسانية و الحكمة حتى وصل مقاما رفيعا سماه الله تعالىٰ-خيرامة." وقال:

كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ(14)

فهذا التحول العظيم لم يكن بإعجاز منه(ص) وان كان ذا قوة اعجاز قد صدرت على يديه مئات المعجزات، بل بأسباب منها شخصية النبي المحمودة ذات الأخلاق الكريمة الرفيعة كما قال الله عزّ وجلّ: وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ. . .(15)

هذه الحقيقة لاينكرها إلامكابر بل صدقها الحكماء والشعراء. قال الامام علي(ع):

ليس الجمال بأثواب تزيننا إن الجمال جمال العلم والادب

المعنى أن الانسان يتزين، يتجمل لا باللباس وغير ذلك من التزينات بل هويتزين اذا كان واجداً للعلم والخلق. العلم والخلق جناحا التقدم.

قال الشاعر الحكيم المتنبي:

وما الحسن في وجه الفتى شرفاله اذالم يكن في فعله والخلائق

المعنى أن الحسن الظاهري ليس شرفا للانسان بل الشرف الواقعي الحسن في الافعال و الاخلاق.

وصدق شاعر الاخلاق، امير الشعراء احمد شوقي:

إنما الأمم الأخلاق مابقيت فإن هموذهبت أخلاقهم ذهبوا

صلاح أُمرك للأخلاق مرجعه فقوّم النفس بالأخلاق تستقم

اذا أصيب القوم في اخلاقهم فأقم عليهم مأتما وعويلا

فهذا الشاعر العظيم يقول بذهاب و فناء القوم عندما ذهبت اخلاقهم "فان ذهبت اخلاقهم ذهبوا" والتجربة أصدق شاهدٍ على هذه الفكرة.

ينبعث هناك سؤال بأنه لما ذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم؟ أجاب الشاعر منه بأن من أعظم اسباب تأخر المسلمين فساد الاخلاق. فتح المسلمون البلاد بأخلاقهم حتى فتحوا الأ ندلس. استمرت حكومة المسلمين على الأندلس قائمة لمبادئ الإسلام من العدل و ترفيه وخدمة الرعية. قد أتيحت الفرصة للمسلمين لأن يحكموا الأندلس حواليي ثمانمائة (800) سنة بداية من عام ثنتين

وتسعين(92ھ المعادل711م) إلى عام ثمانمائة وسبع وتسعين (897ھ المعادل1492م) ولكن ما استطاع المسلمون- لاسيما حكامهم- أن يحفظوا أنفسهم من سنة الهية وهي:

إِنَّ اللّهَ لاَيُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ (16)

فإذا تغيرت عادات واطوار المسلمين من الدعوة إلى الله مع وحدة الكلمة، و تعليم الدين للناس، والالتزام بمبأدى الإسلام والدفاع عن الارض الاسلامية إلى الغناء، والترف واللهو، والموشحات (17) وشرب الخمور والمسكرات. وبهذ السبب فقد المسلمون الفاتحون الأندلس وخرجوا منها مغلوبين مطرودين وسقطت الندلس بيد الإفرنج. وانتهت بذلك الخلافة الاسلامية فى شبه الجزيرة الأيبرية.

ونفس هذا الوضع نشاهده للمسلمين فى العصر الحاضر. فهم- أكثرهم- محكومون للآخرين بسبب الانحراف عن الدين و الفساد الخلقى وتفريق الكلمة. فما دامت الامة المسلمة تبقى على هذا الوضع السيىء الأ خلاق، ولايصلح حالها خلقا وعقيدة وعملا، فلاتتوقع التخلص من الاضمحلال والمحكومية.

بعد تحرير الأمور التمهيدية، نتشرف بذكر عدة آيات مباركة التى تكشف القناع عن بعض جزئيات الأخلاق المحمدية الحميدة حتى يتبين أن خلقه(ص) كان القرآن كما روي عن أم المومنين عائشة(رض).(18)

1. سورة آل عمران، قال الله عزوجل:

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (19)

تفسير الاية: و اذ كان حال المومنين فى غزوة أحد من التشبه بالذين كفروا و التحسر على قتلاهم، فبرحمة منا- أيها النبيى- كنت لينّا لهم، رفيقا بهم. و لو كنت، سيىء الخلق، قاسيى القلب لتفرق أصحابك من حولك، فلاتؤاخذهم بما كان منهم" فى أحد" و اسأل الله أن يغفر لهم و شاورهم فى الامور

التی تحتاج إلی مشورة لیکون ذلك امضاء لیسرتك. أما اذا عزمت علی أمر بعد الاستشارة، فامضه معتمدا علی الله وحده و توکل علیه، ان الله یحب المعتمدین علیه (20)

و "فی هذه الایة دلالة علی تخصیص نبینا بمکارم الأخلاق و محاسن الخصال" (21)

نکات أخلاقیة فی الایة:

1) الایة تعطینا درس العفو ممن أساء الینا اذا کانت الإساءة متوجهة إلی شخصنا لا إلی المجتمع ولا إذا کانت یلزم منها إضاعة حق لاحدٍ.

2) الاستشارة ممن یلیق بها، یقال: ماخاب من استشار.

3) التوکل والاعتماد علی الله- عزوجل- بعد الاستشارة والعزم.

2. سورة الانعام، قال الله تعالی:

قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِی خَزَآئِنُ اللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَیْبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّی مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا یُوحَی إِلَیَّ . (22)

تفسیر الایة: لاشك ان النبی الأکرم(ص) کانت شخصیته واجدة لجمیع دواعی الترفع والعلو من العلم والشجاعة والحکمة والعدالة والحکمة و الجمال وغیرها وکان أیضاً صاحب ولایة تکوینیة وإعجاز وکان یخبر عن الغیب، فکان من الممکن أن یدعی أیة دعوی عالیة حتی الألوهیة - معاذ الله- ولکن لم یدع إلا أنه رسول من الله إلی الناس لهدایتهم، فلم یظهر ترفعه وعلوه علی أحدٍ.

فأخذ الکفار یقترحون علیه أن یأتی بالمعجزات واعترضوا بما کان یاتی به من أعمال متعارفة بشریة من الأکل والشرب والمشی. فقال الله: قل. یأیها النبی- للمشرکین: لم أدع فیما أدعوکم الیه أنی أملك خزائن الألوهیة حتی تقترحوا علیّ أن أفجّر أنهارا أو أخلق جنة أو بیتا من زخرف، ولا ادعیت أنی أعلم الغیب حتی أجیب عن کل ماهو مستور تحت أستار الغیوب کقیام الساعة، ولا ادعیت

أنى ملك تعيبون و تبطلو قوليى بأكل الطعام والمشيى فى الأسواق للكسب، بل إلى الله يوحيى إلىّ بما يوحى، فأدعوكم إلى دين التوحيد. (23)

نكات أخلاقية فى الاية:

1. أن يجتنب الانسان عن التصنع والتكلف ويبقى على الحقيقة والواقعية كما هيى، بل عليه أن يظهرها للآخرين. ولا يكتمها.
2. عليه أن لا يترفع على الآخرين، و ان كان على مقام ومنصب رفيع. نعم، يعتبر فى الامر اللزومى كلا العلوّ والاستعلاء كما حقق فى علم الأصول. (24)
3. الانسان إذا كان ذا منصب فلا عيب له بالافعال العادية البشرية من السعى لكسب الحلال والاجتماع مع الآخرين بدون أىّ تشخص.

3- سورة الاعراف، قال الله:

خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (25)

تفسير الاية : أخذ العفو عبارة عن التستر على إساءة من أساء إليه، والاغماض عن حق الانتقام الذي يعطيه العقل الاجتماعى. واما تضيع حق الغير بالاساءة اليه فليس بما يسوغ فيه العفو شرعا و عقلا و قانونا اجتماعيا.

فالمراد بقوله: "خذ العفو" هو الستر بالعفو فيما يرجع إلى شخصه(ص) وعلى هذا كان(ص) يسير فإنه(ص) لم ينتقم من أحدٍ لنفسه قطّ قالت عائشة(رض): ما انتقم رسول الله لنفسه فى شيىء يوتى اليه حتى ينتهك من حرمات الله فينتقم لله. (26) "و أعرض عن الجاهلين" أى أعرض عنهم عند قيام الحجة عليهم واليأس من قبولهم، ولا تقابلهم بالجهل والسفه صيانة لقدرك. (27)

نکات أخلاقیة فی الایة:

1) الالتزام بالعفو، وعدم الانتقام الشخصی ممن أساء إلینا.

2) الأمر بالمعروف والفعل الحسن.

3) الإعراض عن الجاهلین ان ارتکبوا فعلا سفهیا وعدم مقابلتهم بالجهل.

4- سورة التوبه، قال الله تعالیٰ:

وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ رَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ (28)

تفسیر الایة: من المومنین - وهم فی الحقیقة المنافقون- یوذون النبی بقولهم "هوأذن" أی یسمع إلی ما یقال له ویصغی الیه ویقبله بلا تفریق بین القائلین، کأن هذا العمل کان عیبا فی شخصیته. فردّ القرآن و أجاب بأنه(ص) أذن و لکن اذن خیر لکم. فکونه(ص) أذنا أصلح لکم، لأنه یقبل عذرکم، و یستمع إلیکم. ولو لم یقبل عذرکم لکان شرا لکم. فکیف تعیبونه بما هو أصلح لکم؟ هو رحمة للمومنین لانهم انما نالوا الایمان بهدایته و دعائه ایاهم. (29)

نکات اخلاقیة فی الایة:

1. تعییب النبی(ص) بأیّ عیب خلقی وخُلقی إیذائه. ومن آذی النبی(ص) لعنه الله تعالیٰ، قال عزوجل: وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (30)
2. القائد الاسلامی یلزمه کونه أذن خیر لجمیح ألاعضاء، فیستمع إلی مقالة کل قائل و لکن العمل علی ما هو صادق واقعا.

3. الخلق لا ينحصر فى الصدق والعفو والايثار بل له مجالات: الخلق مع الله والخلق مع النبى ، والخلق مع العائلة. و. . . . فالله عزوجل قد قرّر أخلاقا و آدابا للمسلمين مع النبى (ص) و منها أن يجتنبوا من قول و فعل يوذى حبيب الله تعالى.

5- سورة النحل، قال الله تعالى:

وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (31)

تفسير الاية: واصبر- أيها النبيى- فيما تبلغه من الرسالة، لأن تبليغ الرسالة إلى المشركين كان امراصعبا مليئا بالإيذاءات منهم المتنوعة. "وماصبرك الاباالله" أي بتوفيقه وتسييره وترغيبه فيه. ولاتحزن على المشركين فى إعراضهم عنك، فانه يكون الظفر والنصرة لك عليهم. "ولاتك فى ضيق مما يمكرون" أى لايكن صدرك فى ضيق من مكرهم بك وبأصحابك، فان الله يردّ كيدهم فى نحورهم. (32)

نكات اخلاقية:

1) مهمة تبليغ الرسالة إلى الناس صعبة محفوفة بالمشاكل والإيذاءات. فالمبلغ الدينيي لابد أن يهيىء نفسه لمواجهة المشاكل والإيذات بالصبر والاستقامة والحكمة، الصبر مفتاح الظفر و النصرة.

2) الصبر قبال المشاكل والايذاءات وكيود المخالفين يتيسّر بتوفيق من الله والدعاء منه. عزوجل.

3) المبلغ الدينيي لايأس فى أداء هذه المهمة بالمشاكل والايذاء ات، بل فى النهاية هويظفر و ينتصر.

4) المبلغ الدينيي لا يعتمد على الأمور والإ مكانيات المادية بل يعتمد على النصرة الغيبية من الله سبحانه.

5) المبلغ الدینیی- بالمعنی الحقیقی- الظفر النهائیی یکون له، کما کان النبی الاکرم(ص) قد ظفر فی مهمة التبلیغ والدعوة.

6۔ سورة الکهف، قال الله تعالیٰ:

فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (33)

تفسیر الایة "باخع" أی مهلك وقاتل نفسك علی آثار قومك الذین قالوا لن نومن لك حتی تفجر لنامن الارض ینبوعا- وذالك تمردا منهم علی ربهم "ان لم یومنوا بهذا الحدیث" أی القرآن، "اسفا" أی حزنا و تلهفا. (34) و المعنی "یرجی منك أن تهلك نفسك بعد اعراضهم عن القرآن و انصرافهم عنك من شدة الحزن" (35)

نکات اخلاقیة فی الایة:

1. القائد الدینیّ یکون مخلصا فی عمله یثقل علیه إعراض الناس عن الحق وهو یتألم به.
2. الإعراض عن القرآن الکریم لایجوز ولا یتحصل عندالله و رسوله. الإعراض عن القرآن یلازم الضلالة والشقاوة والهلاك فی الدنیا والاخرة. و أما الالتزام والتمسك بالقرآن فهو یلازم السعادة والفوز فی الدارین.
3. القائد الدینی یکون محور فعّالیات ونشاطاته القرآن الکریم: تعلیمه وتلاوته،ونشر تعالیمه فی المجتمع.

7. سورة الکهف، قال الله تعالیٰ:

فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ○ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ○ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا (36)

تفسیرالاية: هذه الاية من الايات التى تذكر قصة أصحاب الكهف التى أشارت اليهود على قريش أن تسأل النبى(ص) وتختبر بها صدقه فى دعوى النبوة. " و المعنى واذا كان ربك أعلم وقد أنباك نبأهم فلاتحاجهم فى الفتية أي أصحاب الكهف إلامحاجة ظاهرة غير متعمق فيها، أومحاجة ذاهبة لحجتهم، ولاتطلب الفتيافى الفتية من أحدٍ منهم، فربك حسبك" (37)

قال العلامة الطباطبائي:

" الاية الكريمة سواء كان الخطاب فيها للنبى خاصة أوله ولغيره، متعرضة للامر الذى يراه الانسان فعلا لنفسه ويخبر بوقوعه منه فى مستقبل الزمان. . .والذى يراه القرآن فى تعليمه الالهي أن مافى الوجود من شيئ ذاتا كان أو فعلا و أثرا فإنما هو مملوك لله وحده أن يفعل فيه مايشاء ويحكم فيه مايريد، لا معقب لحكمه- وقد تكاثرت الايات الدالة على أن كل عمل من كل عامل موقوف على اذنه تعالى. و اذا عزم على فعل أن يعزم متوكلا على الله واذا وعده بشيء أو أخبر عما يفعله، أن يقيده باذن الله او بعدم مشيته خلافه (38)

نكات اخلاقية فى الاية:

1) اذا أراد المسلم أن يفعل شيئا فى المستقبل أوا لوعد مع الآخر، فعليه أن يعلقه على مشية الله ويقول "اِن شاء الله" وعليه السيرة النبوية المقدسة كما فى حديث عتبان بن مالك. رض. عندما قال لهُ(ص): وددت يا رسول اللهإنك تاتين فى بيتى فأتخذه مصلى . . .فقال له رسول الله سأفعل اِن شاء الله تعالى. . . . (39) وعليه سيرة الانبياء العظام، قال موسى(ع): سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللهُ صَابِرًا "(40) وقال سيدنا اسماعيل(ع): سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (41) وهذا مقتضى خلق الانسان مع الله.

2) اذا كانت هناك حاجة للجدال و المراء فأن يكون بلين و سهولة و أن يكون ظاهرا مفيدا للعلم و اليقين.

8. سورة طه، قال الله تعالیٰ:

طهO مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىO إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى (42)

تفسیر الایة: "طه" اسم من أسماء النبي (ص) فبهذا الاسم قد نادى الله حبيبه فقال، والمعنى ما أنزلنا عليك- يا محمد (ص)- القرآن لتشقى به اى تتعب نفسك فى سبيل تبليغه بالتكلف فى حمل الناس عليه. قال الامام ابن كثير:

"ما أنزل الله القرآن على رسوله. قام به هو أصحابه فقال المشركون من قريش: ماانزل القرآن على محمد الا يشقى فانزل الله: طه ماأنزلنا عليك القرآن تشقى الاتذكرة لمن يخشى اى لا، والله ما جعله شقاء ولكن جعله رحمة ونورا و دليلا إلى الجنة. (43)

نکات اخلاقیة فی الایة:

1. بين الله تعالىٰ ان النبى الاكرم (ص) قدوة للناس فى العبادة كما فى سائر المجالات.
2. القرآن موعظة وتذكرة لمن فى قلبه خشية من الله. فعلى المسلم أن يتخذه موعظة وتذكرة حياته.
3. من باب الخلق مع النبى (ص) على المسلم أى يراعي وقت النداء عظمة مقام خاتم النبيين (ص) و لاينا ديه كما ينادي الآخرين. كفى عظمة للنبى الأكرم (ص) أن الله لم ينادہ باسمه فى القرآن كما نادى سائر الانبياء العظام بأسمائهم، فقال مثلاً يا آدم، يانوح.

9. سورة طه، فقال الله تعالیٰ :

فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىO وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ

الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى٥وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (44)

تفسیر الایة: یقول الله عزوجل فی هذه الکریمة بأنه إذا کان من قضاء الله أن یؤحزعذابهم ولا یعاجلهم بالانتقام علی مایقولون، فلایبقی لك- أیها النبی- إلا أن تصبر راضیا علی ماقضاه الله تعالیٰ من الأمر وتنزهه عما یقولونه من کلمة الشرك ویواجهونك به من السوء وتحمده علی ماتواجهه من آثار قضآئه، فلیس الا لجمیل. فاصبرعلی مایقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء اللیل لعلك ترضی بالشفاعة والدرجة الرفیعة.

ثم یقول الله سبحانه .: لا تطل- أیها النبی- النظر إلی زینة الحیاة الدنیا وبهجتها التی متعنا بها أصنافا أو ازواجا معدودة منهم، لنمتحنهم فیما متعناه به، والذي سیرزقك ربّك فی الاخرة خیرو أبقی.

ویقول: و أمر- أیها النبی- أهلك أی أهل بیتك و أهل دینك بالصلاة واصطبرعلیها أی واصبر علی فعلها وعلی أمرهم بها. لانسائك رزقا"- أیها النبی- لخلقنا ولانفسك، بل کلّفناك للعبادة واداء الرسالة، وضمنا رزق جمیع العباد.

نزرقك ای نرزق جمیع الخلق ولانسترزقهم. والعاقبة المحمودة لاهل التقویٰ. (45)

نکات أخلاقیة فی الایة:

1. الایة تأمر الذین یبلغون رسالات الله بالصبر فی هذا لطریق، علی عدم قبول قولهم والایذاءات من المتمردین.
2. الایة لاتأمربالصبرفقط بل بالتسبیح والذکر و العبادة.
3. الایة تنهی عن الطمع فی أسباب زینة الدنیا.
4. رزق الاخرة خیروبقی.
5. یبدأ المبلغ الدینی عملیة التبلیغ بأهل بیتهٖ ومن یتعلق به، فیأمرهم بالمعروف ثم الآخرین.

6. الذين يشتغلون بنشاطات دينية فى المجتمع لا يتوقعوا الرزق من أهل الدنيا بل يتوقعونه من الله سبحانه، هوقد ضمنه لهم.

7. وعدالله المتقين بأن لهم حسن العاقبة.

10. **سورة للشعراء، قال الله تعالىٰ:**

وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ٥وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ٥فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ٥وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ٥الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ٥وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ٥إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (46)

تفسير الاية: نهى الله عزوجل فى هذه الايات نبيّه(ص). عن الشرك ثم قال أنذر- أيها النبيى- عشيرتك وقرابتك الأقربين من المؤمنين الذين اتبعوك، فاجمعهم إليك بالرأفة واشتغل بهم بالتربية وان عصوك فتبرأ من عملهم وليس لك من أمر طاعتهم ومعصيتهم شيء وراء ما كلفناك، فكل ما وراء ذلك إلى الله سبحانه، وتوكل فى أمر المتبعين والعاصين جميعا إلى الله فهوالعزيز الرحيم، يعمل بسنته أي يأخذ العاصين وينجيى المومنين. (47)

نكات اخلاقية فى الاية:

1) تنهانا هذه الاية عن الشرك بجميع اقسامه.

2) "لااستثناء فى الدعوة الدينية ولامداهنة كماهو معهود فى السنن الملوكية، فلا فرق فى تعلق الانذار بين النبى وأمته، لابين الاقارب والأجانب، فالجميع عبيد، الله مولهم". (48)

3) تؤكد الاية للقيادة الاسلامية بالرأفة والرحمة ممن يتبع الدين.

4) تأمر الاية بالتوكل على الله. سبحانه. خاصة فى عملية التبليغ الدينيى.

11. سورة الانبياء، قال الله تعالىٰ:

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (49)

تفسير الاية: أسلوب هذه الاية- بلاغيا- من نوع قصر الموصوف على الصفة أي إنك- أيها النبى- أرسلت رحمة و رأفة فقط. فما نرى فى حياة النبى(ص) إلا جانب الرحمة و الرأفة. وهذا ما يستفاد أيضا من حمل المصدر على الذات كما فى قولك زيد عدل أي تجسم فيه وصف العدالة كأنه عين عدل، فكذلك هو(ص) رحمة أي تجسمت فيه وصف الرحمة كأنه. ص. عين الرحمة. و كون النبى(ص) رحمة لايختص بقوم دون قوم وبزمان دون زمان وبقطر دون قطر، بل هو رحمة للعالمين، كما أن الله ربّ العالمين فرسوله رحمة للعالمين.

ولذا كان النبى(ص) رحمته شاملة للحيوانات والكفار والمنافقين مضافا إلى المؤمنين- أما المومنون فكان رحيما كثير الرحمة بهم، قال تعالىٰ:

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ (50)

والمعنى: لقد جاء كم -أيها المومنون- رسول من قومكم، يشق عليه ماتلقون من المكروه و العنت، حريص على إيمانكم وصلاح شأنكم، وهو بالمومنين كثير الرأفة والرحمة.

كان النبى. ص. يحزن ويحسر لعدم قبول الناس دعوة التوحيد، وبالتالي مصيرهم إلى جهنم، قال عزوجل:

وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (51)

فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (52)

فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (53)

ويمكن تفسير كونه(ص) رحمة للعالمين، بأنه(ص) رحمة تكوينية و رحمة تشريعية.

أما كونه(ص) رحمة تكوينية للعالمين، فبسبب أنه أول مخلوق ولولاه لما خلق الله الأفلاك.

و أما كونه(ص) رحمة تشريعية فباعتبار أن ما جاء به إلى الناس من الدين هو ذريعة سعادة دنياهم و أخراهم.

فالمومنون المتبعون له(ص) فرحمته تشملهم. ومن ثم ميّزالله تعالىٰ أمة حبيبه من بين الأمم بكونها أمة مرحومة" وقال(ص): أمتي هذه امته مرحومة ليس عليها عذاب فى الاخرة عذابها فى الدنيا: الفتن والزلازل والقتل" (54)

نکات اخلاقیہ فی الایۃ:

1. الرسول الأكرم بعثه الله رحمة لما سواه.
2. الاسلام دين الرحمة والرأفة.
3. الرسول الاعظم وسيلة الرحمة للمخلوقات.

12. سورۃ القلم، قال اللہ تعالیٰ:

وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ(55)

تفسیر الایۃ: قال المفسر سيد قطب فى تفسير هذه الاية الكريمة ما ملخصه: يعجز كل قلم، ويعجز كل تصور، عن وصف قيمة هذه الكلمة العظيمة من رب الوجود، وهي شهادة من الله، فى ميزان الله، لعبدالله، يقول له فيها "انك لعلى خلق عظيم" ولقد رويت عن عظمة خلقه فى السيرة، وعلى لسان أصحابه روايات كثيرة، وكان واقع سيرته أعظم شهادة من كل ما روي عنه. ثم إن لهذه اللفتة دلالتها على تمجيد العنصر الأخلاقي فى ميزان الله وأصالة هذا العنصر فى الحقيقة الاسلامية كأصالة الحقيقة المحمديه: تقوم عليه أصولها التشريعية واصولها التهذيبيته على السواء.

تقوم سيرة محمد(ص) الشخصية مثالا حيا وصفحة نقية، وصورة رفيعة، تستحق من الله أن يقول عنها فى كتابه الخالد "وانك لعلى خلق عظيم" وقد تمثلت الاخلاقية الاسلامية بكمالها وجمالها وتوازنها واستقامتها واطرادها وثباتها فى محمد.ص. وتمثلت فى ثناء الله العظيم، وقوله، "وانك لعلى خلق عظيم". (56)

نکات اخلاقیة فی الایة:

1. هذه الایة تؤکد علی لزوم تعظیم و تجلیل مقام النبی(ص)
2. قد أمضی الله تعالیٰ جمیع التصرفات السلوکیة للنبیی(ص) فی حیاته معیار اخلقیا للمسلمین فی جمیع المجالات.

اللهم بنبیك حوّل حال الأمة المسلمة المرحومة إلی أحسن الحال: الأمن والسلام، ووحدة الکلمة، والإصلاح، وحفظ النفوس والأعراض ورعایة سائر القیم الاخلاقیة. والاجتناب والتحرز عن الرذائل، فردیا وجماعیا ودولیا وإقلیمیا.

*****

الهوامش والمراجع

1۔ القمر:50

2۔ ص:71۔72

3۔ الامام الغزالیی: إحیاء علوم الدین، مکتبة کریاطه فوترا، سمارانغ. اندونیسیا. ج:3، ص:52

4۔ العلامة محمد حسین طباطبائی، المیزان فی تفسیر القرآن، دار الکتب الاسلامیة، تهران، ج:20، ص:27

5۔ الجمعة:2

6۔ المیزان فی تفسیر القرآن، ج:19، ص:306

7۔ بیهقی، احمد بن حسین، السنن الکبری، بیروت، دار الکتب العلمیة، ط3، ج:19، ص:323

8۔ مسند الامام أحمد بن حنبل، دار لفکر، بیروت ط3 : ج:2ح:8991

9۔ الشیخ الطوسی، محمد بن حسن، الأمالیی، مؤسة بعثت، قم، ط:1، ص:596

10۔ الکلینی: محمد بن یعقوب، أصول الکافی، دار الاضواء بیروت لبنان ج:2، کتاب الایمان والکفر، باب حسن الخلق، ح:2

11۔ القلم:4

12۔ الاحزاب:21

13۔ مسند الامام احمد، ج:5، ح: 244323

14۔ آل عمران:110

15۔ آل عمران: 158

16۔ الرعد:11

17۔ نمط من الشعر نشأ في الأندلس وذاع فيها، حافظ على العروض العربي إجمالاً، وخرج إلى أعاريض جيدة أحيانا، ولكنه في كلتا الحالتين نهج في التأليف نهجا جديدا قائما على المبالغة في الرقة والموسيقى والسهولة، فهي هيكل من العقيدة يختلف عن هيئة العقيدة العربية وسميي كذلك لأنه يشبه الوشاح أي حلى المرئة، بأشكاله وتطاريزه واكثر ما ينتهي عندهم إلى سبعة أبيات. (www.almaany.com)

18۔ الامام البخاری، الأدب المفرد، دار الصدیق، المملکة العربیة السعودیة، باب: 144، ح: 308

19۔ آل عمران: 159

20۔ المیزان فی تفسیر القرآن، ج: 4، ص:57

21۔ العلامة المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الانوار، دار احياء التراث العربي، ج:16، ص:199

22۔ الانعام:50

23۔ المیزان فی تفسیر القران، ج: 7، ص: 95۔97

24۔ الفقیه المحقق الشیخ جعفر السبحانی، الموجز فی الاصول، ص: 37

25۔ الاعراف: 199

26۔ صحیح البخاری، ح: 6853

27۔ الطبرسی فضل بن حسن، مجمع البیان، ج: 4، ص: 787۔788

28۔ التوبه: 61

29۔ مجمع البیان، ج: 5، ص: 68۔69

30۔ التوبه: 61

31۔ النحل: 127

32۔ مجمع البیان، ج: 6، ص: 605۔606

33۔ الکهف: 6

34۔ مجمع البیان۔ ج: 6، ص: 694

35۔ المیزان فی تفسیر القرآن۔ ج: 15، ص: 257

36۔ الکهف: 22۔24

37۔ المیزان فی تفسیر القرآن۔ ج: 13، ص: 289

38۔ المیزان فی تفسیر القرآن۔ ج: 13، ص: 289۔290

39۔ صحیح البخاری، محمد بن اسماعیل۔ کتاب صلوة، باب المساجد فی البیوت، ح: 425

40۔ الکهف: 69

41۔ الصافات: 102

42۔ طه: 1۔3

43۔ الامام ابن کثیر، اسماعیل بن کثیر۔ تفسیر القرآن العظیم۔ دار الغد الجدید، قاهره ط ا۔ 1431ه ج: 3، ص: 131

44۔ طه: 130۔132

45۔ المیزان فی تفسیر ان۔ ج14، ص254، 259، مجمع البیان: ج: 7، ص: 57

46۔ الشعراء: 214۔220

47۔ المیزان فی تفسیر القرآن۔ ج:15، ص:358۔359

48۔ المیزان فی تفسیر القرآن ج:15، ص:259

49۔ الانبیاء:107

50۔ التوبہ:128

51۔ النمل:70

52۔ فاطر:8

53۔ الکہف:6

54۔ الامام ابوداود، سلیمان بن الاشعث، السنن، دار السلام، الریاض: کتاب الفتن والملاحم۔ ح:4278

55۔ القلم:4

56۔ سید قطب: فی ظلال القرآن، دار إحیاء التراث العربی، بیروت، ط:5، ج:8، ص:220۔232